PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2023) 60(2): 456-469
ISSN : 1553-6939

The Pre-Islamic Poem in the View of German Orientalism

Oussama mehemli [1*]

[1] Mohamed El Bachir Brahimi University, Bordj Bou Arreridj (Algeria), **orientalistd@gmail.com**

Received: 18/08/2023, Published: 25/10/2023.

ABSTRACT:

There is no doubt that the studies of the German orientalists of the pre-Islamic poem worked on some critical Arab studies on the structure of pre-Islamic poetry on an important issue based on the problem of the composition of poems; What is meant by this was whether the themes of the single poem were consistent and interrelated with each other with a coherent objective unity, or were they disjointed and independent of each other? From here, some German orientalists saw in their studies of pre-Islamic poetry that the Arabic poem lacks an internal structure, and according to this proposition we wanted to clarify the positions of each Orientalists from them, as we can see its validity from its error after the statement of the psychological reference represented in the curricula of their studies of Arab heritage in general and of literature in particular, as we discern the position of Arab criticism regarding their studies of the substantive unity in the pre-Islamic poem.

Keywords:
German orientalists, the construction of the poem in pre-Islamic poetry, objective unity, positions.

القصيدة الجاهلية في منظور الاستشراق الألماني

- أسامة مهملي [1]

[1] جامعة محمد البشير الإبراهيمي -برج بوعريريج -

الملخص:

مما لا شك فيه أنّ دراسات المستشرقين الألمان للقصيدة الجاهلية عملت على بعض الدّراسات العربية النقدية حول بنائية الشّعر الجاهلي على قضية مهمة أساسها مشكلة تركيب القصائد؛ ويقصد بهذا هل كانت موضوعات القصيدة الواحدة متناسقة ومترابطة فيما بينها ذات وحدة موضوعية متماسكة أم أنّها كانت ذات أجزاء مفكّكة ومستقلة عن بعضها؟

من هنا رأى بعض المستشرقين الألمان في دراساتهم للشّعر الجاهلي أن القصيدة العربية يعوزها البناء الداخلي، ووفقا لهذا الطرح أردنا أن نتبين مواقف كل مستشرق منهم، كما نتبين صحتها من خطئها بعد بيان المرجعية النفسية المتمثلة في مناهج دراساتهم للتراث العربي عموما وللأدب خصوصا، كما نتبين موقف النقد العربي إزاء دراساتهم للوحدة الموضوعية في القصيدة الجاهلية.

الكلمات المفتاحية:

المستشرقين الألمان، بناء القصيدة في الشّعر الجاهلي، الوحدة الموضوعية، مواقف.

مقدمة:

يعرفُ الاستشراق على أنه دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون لفهم الشرق وكل ما يتعلّق به في جميع المجالات، فمما هو ثابت أنّ الاستشراق الألماني كان له دور فعال في الاهتمام و العناية وبالتراث العربي والإسلامي، فقد كان لهم السبق في فهم الشرق ومعالمه بفعل تسخير عدد من المستشرقين الألمان جهودهم في البحث في جميع مجالات التراث العربي والإسلامي العلمية منها والأدبية، وفي ضوء الكلام عن التراث العربي الأدبي يمكننا أن نقول أن المستشرقين الألمان تناولوا الشعر العربي وبالأخص الشعر الجاهلي نقدا وتحليلا، إذ لم تخرج القصيدة الجاهلية من دائرة اهتماماتهم للأدب العربي، فمن أبرز القضايا التي تناولوها في هذا المجال قضية الوحدة الموضوعية في القصيدة الجاهلية، فقد ذهب نفر

منهم إلى أن القصيدة الجاهلية تفتقد للوحدة الموضوعية لتعدد الموضوعات داخل القصيدة الواحدة. ولقد أردنا من خلال هذه الدراسة أن نتبين مواقف كل مستشرق منهم على حدى، كما نتبين صحّة مواقفهم من خطئها من خلال الإجابة على المشكلات الآتية:

فيم تمثلت مواقف المستشرقين الألمان من بناء القصيدة في الشّعر الجاهلي؟ وما مدى صحة مواقفهم من ذلك؟ وما ردود الدراسات النقدية العربية من مواقفهم تلك.

ويهدف هذا البحث من خلال الوصول إلى النتائج إلى الأهداف الآتية:

-بيان مناهج دراسات المستشرقين الألمان من خلال مواقفهم من بناء القصيدة في الشّعر الجاهلي.

-بيان موقف النقد العربي من مواقف المستشرقين الألمان من الوحدة الموضوعية في القصيدة الجاهلية.

-بيان مدى تأثر الأديب العربي بدراسات المستشرقين الألمان للأدب بصفة عامة وللقصيدة الجاهلية بصفة خاصة.

ولإنجاز هذا البحث انطلقت من مقدمة عرفت فيها الاستشراق والمستشرقين واهتماماتهم بالتراث العربي، كما مهّدت فيها أيضا لموضوع تناول المستشرقين الألمان من الوحدة الموضوعية في القصيدة الجاهلية ومناهجهم في ذلك ،كما أشرت إلى مواقف النقد العربي من دراساتهم، بالإضافة إلى طرح إشكاليات البحث وأهدافه، أما بخصوص المناهج المعتمد في هاته الدراسة تطلَّب مني الاشتغال بمناهج متنوعة، كلُّ منهج إلّا وخدم جزئية معيّنة من البحث؛ فالمنهج النقدي والتحليلي اختصَّا في تحليل ونقد مواقف المستشرقين الألمان في أجزاء معينة من البحث، أما المنهج الاستقرائي لم يغِب طوال مراحل البحث من بدايته إلى نهايته؛ ذلك أنّه من المسَلَّمِ به أنَّ بحثنا يعتمِد أساسًا على استقراء مواقف المستشرقين الألمان ومناهجهم، ومواقف النقد العربي من ذلك متبوعة بالنقد والتحليل وصولا إلى نتائج طرحتها في خاتمة البحث .

1/مناهج المستشرقين الألمان:

تختلف توجّهات المستشرقين الألمان باختلاف انتماءاتهم وقناعاتهم ومدارسهم الفكرية وكذا باختلاف مناهجهم في دراساتهم وبحوثهم، ويظهر ذلك بشكل واضح في تناولهم لمختلف القضايا المتعلِّقة بالتُّراث العربي الإسلامي وفي جميع المجالات، وقد اقتصرنا في هذا البحث على ذكر أبرز المناهج التي اعتمدوها:

1.1/المنهج الإسقاطي:

من أكثر المناهج اعتمادا لدى المستشرقين الألمان هو المنهج الإسقاطي الّذي يتمثّل في "خضوع الباحث إلى هواه وعدم استطاعته التخلّص من الانطباعات التي تركتها لديه بيئته الثَّقافية المعنية، وعدم تحرّره من الأحكام المسبقة التي يكوّنها على موضوع بحثه سواء أكانت هاته الأحكام عقلية أم انفعالية ولا يرى الباحث إلّا صورته الذّهنية دون غيرها من الصّور الفكرية التي ربّما تخالف أحكامه المسبقة "[1]،وهو يحاول بكل الطّرق إخضاع جميع الصّور الأخرى إلى ارتضاء فكره حتى وإن خالفت الحقيقة العلمية.

طبّق المستشرقون الألمان المنهج الإسقاطي عموما على الدّراسات الإسلامية والأدبية، وتوصلوا بذلك إلى أحكام تعسّفية لا علاقة لها بالتحليل العلمي الموضوعي، كما أنهم فسّروا التَّاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية تفسيرا

[1]/سالم ساسي الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدّراسات الاسلامية)، ج01، ص169.

إسقاطيا، وبما أنَّ هذا المنهج يخضع لهوى الباحث وافتراضاته المسبقة فإن النّتائج في أغلبها تكون خاطئة ؛ذلك أن المستشرق – وهو في حقيقة الحال نتيجة بيئته وإيمانه الشّديد بثقافته ومنـهاجه باعتبارهما النَّموذج الأمثل لكلِّ الثَّقافات- يخضع جميع الظّواهر الأخرى التي تتطلب الدِّراسة إلى تكوينه الفكري الَّذي تكوَّن عليه في بلده؛ مما تأتي مواقفه خاطئة ومخالفة لما يقتضيه المنهج العلمي الصحيح.

يُستنتج مما تقدّم أنَّ المنهج الإسقاطي لدى المستشرقين الألمان أم غيرهم ينافي ما يقتضيه الباحث العلمي ومثال ذلك ما قام به نولدكه في كتابه: تاريخ النَّص القرآني لمّا وضع النَّتائج ثم أخذ يبحث في تحليلات من هواه بغية الوصول إلى تلك النَّتائج التي وضعها في البداية.

2.1/منهج الشّك:

تعددت مناهج المستشرقين وتنوعت ولعل أبرز مناهجهم منهج الشّك في بدراساتهم' 'فبمقتضى هذا المنهج يشكُّ الباحث في الواقعة التاريخية أو ينفيها إذا اقتضى الأمر من غير أن يقدّم دليلا على ما ذهب إليه، ويقابل ذلك افتراض وقائع واستنتاجات معيّنة ففي الحالة الأولى يشكِّك فيما هو أقرب إلى الحق، بينما يصدّق في الحالة الثانية فيما هو أقرب إلى الباطل، ويُكْثِرُ هنا من استعمال ألفاظ: ربّما، ويمكن، ولعلّ، والاحتمال الأقرب"[2]. هذا المنهج جعل كثيرا من المستشرقين الألمان ينتهجونه في كتاباتهم فعلى سبيل المثال ما تناوله المستشرق نولــدكه حول صحة الشّعر الجاهلي والطريقة التي وصل بها إلى القراء والدارسين بما شابه دور الرواية والتدوين في الإنقاص من قيمته فإن كارل بروكلمان انتهج منهجا خاصا مضافا عن الشك بالاستدلال بأبناء جلدتنا، وإذا كان منهج الشك الذي طبقه مرجيليوث وهو زعيم هذا الاتجاه في كتابه أصول الشعر الجاهلي والذي يقول فيه "لنفترض أن هذا الأدب كان صحيحا فكيف وصل إلينا؟ الجواب وصل إلينا إما كتابة إما شفاهة ويحظى الافتراض الأول".[3]

مما هو جدير بالملاحظة أيضا أن نولدكه من خلال موقفه هذا والذي ينطلق أساسا من الشك يتّضح جليًّا أنه يريد أن ينقل شكّه إلى القارئ باستعمال بعض المراوغات اللفظية مع ربطها ببعض الأحداث التّاريخية، ومما ننوِّه إليه أن العديد من المستشرقين الألمان اعتمدوا هذا الأسلوب فحتَّى بروكلمان في كتابه: تاريخ الأدب العربي لم يتخلّ عن منهج الشكِّ والافتراض فيما جاء به.

وجملة القول: ليست هاته المناهج هي وحدها التي اعتمدها المستشرقون، بل من المناهج المعتمدة أيضا: المنهج المقارن، منهج العكس، المنهج العلماني ...وغيرها، لكن مما هو مؤكّد أن المستشرقين الألمان لم يتركوا منهجا من المناهج إلا وبرعوا فيه بتطبيقه بدقَّةٍ خاصّة فيما يتعلَّق بالإسلام وقضاياه.

ومما يؤسف لأجله أنَّ بعض المناهج تسلَّلت إلى مفكّرينا وأدبائنا متبعين في ذلك أساتذتهم المستشرقين، "فقد ورد أن عميد الأدب العربي طه حســين دعا إلى ما نادى به أساتذتــه المستشرقين لما نادى بالتشكيك في صحة رواية

[2]/أحمد محمد هويدي، الاستشراق الألماني (تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية)، دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة، د.ط، 2000م، ص301.

[3] /ينظر: صمويل مرجليوث، أصول الشعر العربي، ترجمة وتعليق ودراسة ابراهيم عوض، دار الفردوس، 2006، ص24.

الشّعر الجاهلي[4]،ومن هنا تبلورت ردود كثيرة تنقد الأديب طه حسين خاصة في قضية التشكيك في صحة رواية الشّعر الجاهلي.

3.1/ المنهج الفيلولوجي:

يعرف المنهج الفيلولوجي بفقه اللغة له أهمية كبيرة في أوروبا عامة وألمانيا خاصة، "ففي القرن التاسع عشر كان مرتكزا على الدراسات التاريخية للغات الأوروبية، والتي تمَّ فيها التطوير في المنهج إذ قدم كثيرون إلى ألمانيا لدراسة هذا العلم فيها؛ ذلك لتعامل الألمان مع المنهجية بدقة"[5]. وقد برز في مدرسة الاستشراق بألمانيا نفر من الفيلولوجيين منهم فلا يشير الذي كان له جهد كبير في تأسيس الدراسات العربية في ألمانيا كما سبق ذكره في المبحث الأوّل.

يرى بعض الباحثين أنه "منذ القرن التاسع عشر طبق المنهج الفيلولوجي على النصوص الإسلامية من قبل المستشرقين الألمان في تحقيق السيرة النبوية وكذلك في القرآن، فوضع **جوستاف فايلGUSTAV WEIL** (1808م-1889م)كتابا بالألمانية بعنوان 'مقدمة تاريخية نقدية للقرآن الكريم"[6].أرى من غير الصّواب أن يطبّق المنهج الفيلولوجي على نصوص القرآن الكريم ؛ذلك أن القرآن الكريم وحي إلهي من رب العالمين لقوله تعالى: "إِنّا نَحنُ نَزّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنّاَ لَهُ لَحَافِظُونَ"(*) وبتطبيق المستشرق **فايل** المنهج الفيلولوجي على القرآن الكريم يعني أنهم يعتبرون القرآن كلام بشر وهذا ما ردده عديد المستشرقين الألمان.

وجد المنهج الفيلولوجي في أعمال **بروكلمان** أيضا كما وجد عند **أوغست فيشر** وكذلك **فلا يشير**، أمّا"**رايسكه** فقد كان على بيِّنة من خصوصية اللغة العربية واستقلاليتها، لذلك رفع من منزلة فقه اللغة العربية إلى مصاف علم مستقل، وكان **رايسكه** يهدف من دراسة فقه اللغة العربية لتكون منطلقا لبحوثه التاريخية"[7].وهذا الموقف الذي اتخذه رايسكه لاقى من خلاله نقدا لاذعا ذلك أنه عارض ما كان يراد من فقه اللغة أي جعل العربية لخدمة العبرية.

ويستنتج مما تقدّم أن المنهج الفيلولوجي الذي طبّقه المستشرقون في دراساتهم كان ذا شِقّين شق إيجابي خدم اللغة العربية إلى حدّ ما وشق سلبي خصوصا ما تعلّق بالنصوص الإسلامية، فقد أدى بدراساتهم هاته إلى رد الكثير من النصوص الإسلامية إلى المصادر اليهودية باعتمادهم على المنهج الفيلولوجي.

---

[4] /ينظر: طه حسين، في الشّعر الجاهلي، تقديم ودراسة: سامح كريّم، الدار المصرية اللبنانية، دط، ص20.

[5]/محمّد سعدون المطوري، تاريخ الاستشراق الألماني وملامح من أسسه المنهجية، مجلة دراسات استشراقية، ع03، العراق،2015م، ص210-211.

[6]/المرجع نفسه، ص 215.

(*) سورة الحجر: 09.

[7] /ينظر: محمّد سعدون المطوري، تاريخ الاستشراق الألماني وملامح من أسسه المنهجية، ص213.

2/ مو اقف المستشرقين الألمان من الوحدة الموضوعية في القصيدة الجاهلية:

لقد تمحورت عديد الدّراسات النَّقدية العربية حول مهم تمثل في مشكلة التّركيــب أو بناء القصائد، ويراد بهذا هل كانت موضوعات القــصيدة الواحدة متناسقة متسلسلة ومترابطة فيما بينها ذات وحدة موضوعية متماسكة أم أنّها كانت ذات أجزاء مفكّكة ومستقلَّة عن بعضها البعض؟ من هنا ذهب بعض المستشرقين بالرأي أنَّ "القصيدة العربية يعوزُها البناء الدّاخلي، فثمّة مـوضــوعات مختلفة تبدو غير مترابطة وتوضع إلى جانب بعضها بعضا دون تعليل عميق، وعلاوة على هذا يبدو في كثير من الأحيان غياب التَّرابط المنطقي بين الأبيات ضمن الموضوع الواحد داخل القصيدة، وغالبا ما يستطيع المرء أن يترجم كلّ بيت على حدًى وأن يفهمه لكنّه لا يمكن أن يفهم القصيدة على أنّها كلٌّ متكامل، وممّن تبنّوا مثل هاته المواقف من المستشرقين الألمان:

1.2/ تيدور نولدكه:

يُعدُّ نولدكه من أوائل المستشرقين الألمان الَّذين تناولوا قضايا الشِّعر الجاهلي إن لم نقل أوّلَ مستشرق ألماني تطرَّق لِقضِية الانتحال في الشّعر الجاهلي، ففي خِضم ما قيل عن هاته القضية من أخذ وردٍّ طَرَقَ نولدكه قضية أساسية أخرى لا تقلُّ أهمية عن قضية الانتحال في الشّعر الجاهلي، إن لم نقل أبرز قضية عُنِي بها النقّاد والمستشرقون القدامى والمحدثين؛ قضيةٌ تتعلّقُ ببناء القصيدة الجاهلية وبالضَّبط الوحدة الموضوعية فيها، إذ يرى تيدور نولدكه في هاته المسألة أنَّ القصيدة الجاهلية تفتقد للتَّماسك والتَّرابط فيما بينها، فهي في كل الأحوال وحدة ممزّقة الأجزاء ذات بناء مخلخل يصعب إن لم نقل يستحيل على متذوِّق القصيدة الشِّعرية الجاهلية أن يستوعب موضوعها. يقول نولدكه:"...ومن الصُّعوبات البالغة في فهم القطع الشّعرية الجاهلية أنّها مقدّمة لنا منتزعة سياقها، وبناء القصائد العربية وهي تتألّف من سلسلة من الصّور الّتي تصوّر للقارئ جوانب الحياة العربية، وفيها كلُّ بيْتٍ مستقلٍّ بذاته تقريبا...وكان فهم القصائد القديمة سيكون أوضح كثيرا لو وجدت عندنا كاملة"[8]،وفي معرض آخر عن تخلخل القصائد العربية القديمة يقول:' 'فإنّ تخلخل تركيب القصائد العربية ساعد على سقوط بعض الأبيات والمواضع أو لتغيير في ترتيبها فلو لم يكن تركيب الأجزاء اعتباطيا ولو لم يكن بناؤها مفكّكا كما يعتقده الناس عادة فإن الشّكل الحالي للقصائد الجاهليـة سيكون أكثـر إحـكاما ورسوخا "[9]مما هي عليه الآن.

يبني المستشرق الألماني تيدور نولدكه مواقفه من اعتبار القصيدة الجاهلية تفتقر للوحدة الموضوعيــة على بُنى لا تكاد تخرج عمَّا تطرّق إليه في أبرز دراساته عن الشّـعر الجاهلي -قضية الشكّ في الشّعر-إذ من خلال ما سبق ذكره يتّضح لنا أنّ الموقف الّذي اتّخذه نولدكه من اعتباره أنّ القصيدة الجاهليــة مفكّكة راجع في نظره إلى طبيــعة وصول الشّعر الجاهلي إلينا شفاهـة فيقول:"...لطالما كانت القصائـد القديــمة حيّةً تحت تصرّف أفواه الشّعب فإنّها كانت معرّضـة لمخاطر التزييــف والتحريــف والخلط في التَّرتيب بين الأبيات في القصيدة الواحدة[10].هذا

[8]/تيدور نولدكه، من تاريخ ونقد الشعر العربي القديـم (ضمن: دراســات المستشرقيـن حول الشّعر الجاهلي)، تر: عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979م، ص21.

[9] /المرجع نفسه، ص23.

[10]/ينظر: تيدور نولدكه، من تاريخ ونقد الشعر العربي القديم (دراسات المستشرقين حول الشّعر الجاهلي)، ص22.

ويرى من جهة أخرى أن بعض الأبيات قد سقطت تماما من القصائد لضعف ذاكرة الرّاوي؛ ممّا تسبب في تخلخل الوحدة الموضوعية للقصيدة الجاهلية، وفي هذا الصَّدد يقول نولدكه:"...إنَّ أقوى الذّاكرات لا تستطيع أن تحول دون حدوث تغييرات تدريجية قوية فيما تحفظ"[11].

من هنا يتّضح لنا أن نولدكه جعل من قضية الشَّك في صحَّة القصيدة الجاهلية سببا من الأسباب التي هلهلت الوحدة الموضوعية فيها.

2.2/ريناتا ياكوبي:

لم تخالف المستشرقة الألمانية ريناتا ياكوبي ما ذهب إليه نولدكه في قضية الوحدة الموضوعية خاصّة لما ربطت قضية الرّواية الشّفوية ببناء القصيدة فهي بدورها ترى أن الرّواية الشَّفوية تصيب تسلسل الأبيات بالفساد والتّفكّك ،"فالرّواية الشَّفوية وطوال المدّة الزَّمنية التي تفصل بين الشّاعر وعصر التّدوين لا يسمحان بنقل القصيدة كما هي، بل لابدّ من حدوث التّغيير والتّحريف، ولذا فإن القصيدة الّتي تزيد أبياتها عن خمسين بيتا لا يمكن لصاحبها أن يتابع الرّبط الفني بين أبياتها "[12]،هذا الموقف يمكننا أن نقبل حجَّة إصابة الرّواية الشَّفوية للقصيدة العربية بالتَّفكُّك، فهذا يمكن أن يكون سببا لتشتّت القصيدة القديمة، لكن مقياس الحجم واعتباره يُفقد القصيدة موضوعيتها بداعي صعوبة الشَّاعر في استعمال الرَّوابط فهذا ممّا لم يَثْبُت لدى النُّقاد العرب. هذا وفي المقابل ترى ريناتا ياكوبي أن القصائد القصيرة التي وجدت في الجاهلية كانت إلى حد كبير موحدة الموضوع، ولم تكن مفكَّكة التَّركيب"[13].

أرى أنّه لإثبات هذا الموقف لياكوبي يتطّلب منها إجراء إحصاء يبيّن الفرق بين عدد القصائد الطّوال وتفكُّكها مع عدد القصائد القِصار ووحدتها الموضوعية، فما نعلمه أن قصائد قصار وتنوعت موضوعاتها، وقصائد طوال وأثبتت وحدتها الموضوعية، وعليه تكون نظرية ياكوبي غير مجدية في الحكم من حيث الوحدة الموضوعية.

على أيّة حال يرى الدّارس أنَّ آراء المستشرقة ريناتا ياكوبي لم تختلف كثيرا عن آراء نولدكه أو غيرهم من المستشرقين، فيما يخصُّ الوحدة الموضوعية لدى الشِّعر الجاهلي، كما نتبيّن أنَّ الحكم بالعموم على القصائد الجاهلية من طرف المستشرقين من الأحكام الجائرة والّتي تحوز عن الوصول للحقيقة.

3.2/إيفالد فاجنر:

ناقش إيفالد فاجنر مسألة وحدة الموضوع في القصيدة الشّعرية الجاهلية، فكان رأيه مبدئيا مخالفا لمواقف سابقيه المتمثّلة في عدم التّسلسل المنطقي لأبيات الشِّعر الجاهلي والَّذي يُفضي إلى اختلال الوحدة الموضوعية في القصيدة الجاهلية فيقول:"...ظهرت في العقدين الأخيرين أصوات متزايدة تؤكِّد التَّتابع المنطقي للأبيات المفردة، والبناء الكلّي لإبداعات شعرية عربية قديمة في إطار فكرة موحّدة؛ هذه الآراء أيضا ليست خاطئة"[14]،ويقول كذلك في

[11]/المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[12] /محمود درابسة، الاستشراق الألماني المعاصر والنّقد العربي القديم، ص77.

[13]/المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[14] / إيفالد فاجنر، أسس الشعر العربي الكلاسيكي، ص237.

هذا السِّياق: "فممّا لا ريب فيه أنَّ القصائد الجاهلية ليست مزيجا من الأبيات الّتي يمكن للمرء أن يغيّر ترتيبها كيفما شاء دون أن يُخلَّ بكليّة القصيدة[15]في الشِّعر الجاهلي؛ من هنا يميل فاجنر إلى أنّ القصيدة العربية متماسكة بدليل أنّك لو أردت تغيير ترتيب بيت لأثّر ذلك في بناء القصيدة العام لكن فاجنر ناقض نفسه في مواضع أخرى لما قال:"... ويبدو أنّه لم يوجد بين أبيات مفردة داخل موضوع ما أيضا في حالات كثيرة أي رابط منطقي. ويستطيع المرء في الغالب أن يترجم كلّ بيت مفرد وألَّا يفهم القصيدة ككل...، وقد حاولت أن أبيّن ما الطّرق المختلفة الّتي سلكها الشّعراء بنجاح لكي يجعلوا من أجزاء ترجع إلى أغراض مستقلّة في الأصل وحدة تركيبية، وهكذا فإنَّ الوحدة الجمالية الّتي تصوّرها هاته الوحدة يعرفها ويحققها بلا شكّ كبار شعراء العرب"[16]؛وهنا يتّضح جليا موقف فاجنر من وحدة الموضوع في الشّعر الجاهلي.

اختلف النُّقَّاد في النّظر لمسألة الوحدة الموضوعية في القصيدة الجاهلية فبينما يرى شوقي ضيف، طه حسين وغيرهما' 'أنّ القصيدة الجاهلية تفتقد للوحدة الموضوعية بسبب سقوط أبيات منها النَّاتجِ عن قصور ذاكرة بعض الرّواة وناقلي أخبار الشّعراء وأشعارهم"[17]،يرى حسن يوسف وآخرون أنّ أجزاء القصيدة جاءت مترابطة على عكس ما أراده إيفالد فاجنر، يعقوبي، نولدكه من إشاعته فيقول: "على الرّغم من تعدّد الموضوعات الّتي احتوت عليها القصيدة الجاهلية وما بينها من تفاوت فِكري؛ فإنَّ هذا لم يمنع الشّاعر الجاهلي أن يوحِّد بينها في إطار عاطفي أخَّاذ، واستغراق فكري عميق لتلتحم أجزاؤها على نسق عجيب"[18]،هذا ويقول أيضا في هذا الصَّدد: "إنَّ انتقال الشّاعر من غرض لآخر داخل القصيدة كان يخضع لمقاييس دقيقة ومعالجة فنّية عالية، فلم يكن باستطاعة الشّعراء وبخاصّة الفحول منهم أن يتركوا الغرض الأوّل في المطلع دون الرّجوع إليه مرَّة أخرى؛ وهذه العملية دقيقة للغاية، وكانت تتمُّ عند كل شاعر بطريقته الخاصة، والأغلب أنَّ كلّ موضوعات القصيدة على الرَّغم من طولها كانت تسير بتناسق عجيب بحيث لا يشعر القارئ بالنّقلة التي ارتادها الشّاعر من غرض لآخر"[19].

أرى أنَّ تباين وجهات النّظر بين النُّقّاد حول مسألة الوحدة الموضوعية في القصيدة الجاهلية يدلُّ من جهة على صوابِ رأيِ المستشرقين، إذْ حقًّا أثبتت قصائدٌ جاهلية افتقادها للوحدة الموضوعية على اعتبار أنَّ الوحدة الموضوعية يُراد بها وقوف القصيدة الجاهلية على موضوع واحد وفكرة واحدة، وهذا ما لم تتميّزُ به عدد من القصائد الجاهلية فانتقال الشَّاعر في قصيدته من غرض لآخر مستقلّ فِكرًا عن الغرض السَّابق؛ هذا في حدّ ذاته تنوُّعٌ في الموضوعات حتّى ولَوْ لمْ يُحسْ القارئُ بذلك، ولعلَّ خيرَ دليل عن ذلك لما جاءت مقدّمات المعلّقات حول الطَّلل وذكر الدّيار -بعدها ينتقل الشّاعر لغرض آخر-"فالمقدّمات الطَّللية تُخِلُّ بطبيعة الحال بالوحدة الموضوعية"[20]،وعلى

---

[15]/ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها، وينظر: موسى ربابعة: مرايا الاستشراق الألماني المعاصر والشّعر العربي القديم، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008م.ص17.

[16]/ إيفالد فاجنر، أسس الشعر العربي الكلاسيكي، ص235-237.

[17]/حسن يوسف، الشّعر الجاهلي في دراسات المستشرقين الألمان، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2013م، ص151.

[18]/المرجع نفسه، ص135.

[19]/المرجع نفسه، ص142.

[20]/حنّا نصر الحتّي، مظاهر القوّة في الشعر الجاهلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص204.

سبيل المثال: امرؤ القيس في معلقته، إذ ينتقل بعد المقدِّمة الطَّللية إلى وصف الصّيد والخيل ومظاهر الطَّبيعة فيقول في وصف الخيل:

وَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُه وَلجَامُهُ وَبَاتَ بِعَيْنِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلِ "[21]

ويقول في وصف الصّيد:

وظَلَّ طُهَاةُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجِ صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ "[22]

هكذا كان الحال بالنِّسبة لمعظم شعراء المعلّقات: طرفة، زهير بن أبي سلمى، وغيرهم، إذ عرفت قصائدهم موضوعات متعدِّدة؛ ممّا أضفى على الشّعر الجاهلي نوعا من التفكّك واختلال الوحدة الموضوعية فيه، لكن يبقى اعتبار المستشرقين أنّ جلَّ الشّعر الجاهلي يفتقد للوحدة الموضوعية إطلاق غير دقيق في نظري، فقد أثبتت قصائد جاهلية وحدتها الموضوعية بداية من المطلع إلى غاية خاتمها سواء منها القصيرة أم الطويلة، ونخصّ بهذا الطّرح القصائد الشّعرية لدى الشّعراء الصّعاليك.

يقول في هذا يوسف خليف:"...فالنّاظر في شعر الصّعاليك تُلفِتُ نظره تلك الوحدة الموضوعية في أكثر قصائده بحيث يستطيع أن يضعَ لكلّ قصيدة عنوانا خاصّا بها دالاً على موضوعها؛ وهي ظاهرة لم تعرفها قصائد الشِّعر الجاهلي في مجموعه؛ تلك القصائد الّتي تبدأ بمقدّمة طللية ثم تظلُّ تنتقل من موضوع إلى آخر حتّى تصل إلى نهايتها"[23].

يؤكّد يوسف خليف في موضع آخر قوله السَّابق المتمثّل في وحدة الموضوع لدى شعراء الصَّعاليك، إذ يقول: "....لا نكاد نجد صعوبة في وضع عناوين لتلك القصائد فمثلا بائية الشّنفرى (غارة على العوص)،ورائية تأبّط شرّا (احتيال)، وفائية السّليك (العاشية المذعورة)،وبائية حاجز(نجاة)،وكافية تأبّط شرّا (الصديق الصّعلوك)...،وهكذا نستطيع أن نفعل بسائر مقطوعات شعر الصَّعاليك وقصائده القصيرة دون أن نشعر بأي تفاوت بينها وبين عناوينها"[24].وإضافة لهذا يرى خليف فيما يخصُّ القصائد الطِّوال للشُّعراء الصَّعاليك أنّها بخلاف المعلّقات، فهي تشتمل على الوحدة الموضوعية حتّى ولو تعدَّدت أغراضها لكنَّها لا تخرج عن سياقها الفكري الأصل، إذ يقول: "حين ندقّق النّظر في هذه الأغراض المتعدّدة نلاحظ أنّها في القصيدة الواحدة ترجع عادة إلى أصل موضوعي واحد....فلامية ذي الكلب الهذلي على كثرة ما تناوله فيها من أغراض فرعية من حديث عن صاحبته إلى غزواته، ومن حديث عن تربُّص أعدائه به وتربُّصه بهم، ومن حديث عن رفاقه وهم أسلحته، وعن المرقبة الّتي يتربّص فوقها؛ ترجع في حقيقة الأمر إلى موضوع واحد، وهو ذلك الصّراع بينه وبين أعدائه فيصحّ اسمها: صراع الصعلوك"[25].

[21]/امرؤالقيس، ديوان امرؤ القيس، تح: محمّد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، 1984م، ص21

[22] /المصدر نفسه، ص22.

[23]/يوسف خليف، الشعراء الصّعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، د.ت، ص264.

[24]/ المرجع نفسه، ص 265، 266.

[25]/يوسف خليف، الشعراء الصّعاليك في العصر الجاهلي، ص266.

3 /الخيال في الشعر الجاهلي:

تمثّل القصيدة العربية الجاهلية نمطا فنّيا متكاملا يعبّر عن ثقافة الأمة العربية، فالقصيدة الجاهلية باعتبارها جزءٌ من التراث أبدعت سواء من حيث بنيتها السطحية أو من حيث بنيتها العميقة، "ولهذا أثار بعض المستشرقين الألمان في إطار تناولهم لموضوع بناء القصيدة العربية قضية الخيال في دراساتهم"[26]، منهم: **رينا**تا **يعقوبي R.JACOBIE (**ت.م:1936م).("وقد كشفت الدراسات الحديثة أن المستشرقين الألمان تفاوتوا في موقفهم من هذه القضية، فمنهم من نادى بسطحية الخيال في الشّعر الجاهلي، ومنهم من ذهب إلى نفي الخيال عن الشعر الجاهلي نفيا مطلقا، ومنهم من قال بوجود أمثلة قليلة للخيال في هذا الشعر"[27]العربي الأصيل.

أرى أنه من الطبيعي أن يقف المستشرقون مثل هاته المواقف، على اعتبار أنهم ظلّوا يعتمدون في الأخذ من أساتذتهم المستشرقين وهذا ما جعل غالبيتهم لم يُعْمِلُوا قرائحهم في تفهُّم الشعر الجاهلي ونصوصه الشّعرية الفنّية بصورة وافية، أو بالتقصّي العلمي عن الحقائق وإثبات الرَّأي الصحيح من دون تعصّب ديني أو عرقي أو مذهبي أو علمي لأجل الخروج بالفائدة العلمية من أدبنا وتراثنا كما تضيف لبحوثهم روح المنهج العلمي الأكاديمي خدمة للحضارة الإنسانية.

1.3/:فولفهارت هاينريشس:

- **ARABISCHE DISCHTUNG UND POETIC** جاء في كتاب الشعر العربي والشّعرية اليونانية لهاينريشس"مناقشة حول خصائص الشعر العربي، وقد اتخذ **هاينرشس** من مقالة تاديوسي كوفاليسكي محاولة لوصف الإبداع الأدبي العربي أساسا أقام عليه نظرته إلى أهم خصائص الشعر العربي..."[28].

يرى **كوفاليسكي** أنَّ التّفكير العربي تفكير مشتّت متناثر، وهذا ما جعل قصائد الشّعر الجاهلي تتميَّز بالتفكك والتجزؤ، فيقول: "إن تخلخل التّركيب خاصية جوهرية من خصائص القصائد العربية. فالقصيدة العربية مزيج غير متلائم وليست كلّية عضوية"[29]. من هنا انطلق هاينريشس بالاعتماد على **كوفاليسكي** في وصف القصيدة الجاهلية بأنّها ذات بناء جزئي مفكك، وعليه في إطار نفي الخيال عن الشّعر الجاهلي؛ يقول هاينريشس:"إن غياب الخيال يمنح الشعر الجاهلي طبيعته المميزة "[30]عن باقي الأشعار.

يريد المستشرق هاينريشس من خلال قوله هذا أن يقنعنا بانتفاء الخيال عن الشعر الجاهلي جاعلا هذا الانتفاء خاصية في الشعر الجاهلي بلا دليل يؤكد صحة موقفه هذا ومن أجل أن يبرّر هاينريـــشس موقفه المتمثل في انعدام الخيال عن الشّـِعر الجاهلـــي عمـد إلى القول: "إن حل هذه المشكلة يمكن أن يتم من خلال المناهج المقارنة

[26]/محمود درايسة، الاستشراق الألماني المعاصر والنّقد العربي القديم، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، ط01، 2010م، ص82.

[27]/أكرم عبد الله محمّد العوسجي، دراسات المستشرقين للشّعر الجاهلي (دراسة تحليلية نقدية، أطروحة دكتوراه بإشراف إيمان مصطفى كمال المهداوي)، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، بغداد، العراق، 2009م، ص87.

[28]/موسى ربابعة، الاستشراق الألماني المعاصر والشّعر الجاهلي، مؤسسة حمادة للخدمات والدّراسات الجامعية، الأردن، ط01 ،1999م، ص67.

[29] /المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[30] /المرجع نفسه، ص68. وينظر أيضا: نقلا عن: موسى ربابعة.

وطروحاتها، وهذا الأمر حسب معرفتي لم يبحث من قبل. إن الغياب الكلّي للأساطير والرّموز عن الشّعر الجاهلي أمر له معنى عظيم في هذا السياق"[31].

أرى أن المقارنة بين الشّعر الجاهلي والشّعر اليوناني لا يمكن أن تكون وسيلة لإثبات الخيال في الشعر اليوناني القديم ونفيه عن الشِّعر الجاهلي؛ ذلك أنّ لكلٍّ منهما بيئته الخاصة وطبيعته التي تميّزُه عن غيره فإذا كان هاينريشس يؤمن بوجود الخيال في الشعر اليوناني القديم ونفيه عن الشّعر الجاهلي، على اعتبار غياب وحضور الأساطير[(*)]والألغاز فإنّنا لا نوافقه الرأي؛ ذلك أن خيال الشاعر الجاهلي لا يعتمد بالدرجة الأولى على الألغاز والأساطير كما ذهب هاينريشس، إنّما خيال الشاعر الجاهلي هو خيال فطري مستمد من نفسية الشَّاعر في تصويره الشعري.

ويرى موسى ربابعة في كتابه الاستشراق الألماني المعاصر والشعر الجاهلي أن هناك نماذج عديدة تبيّن حضور الخيال الفاعل في القصيدة الجاهلية،"... **فامرؤ القيس** على سبيل المثال يصوّر الليل تصويرا فنّيا، نفسيا وعاطفيا، معتمدا على مخيلته[32].وفي هذا الصدد يقول امرئ القيس على سبيل حضور الخيال في شعره من خلال هاته الأبيات:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُــومِ لَيَبْــتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمّا تمَطَّى بِجــــــوْزِهِ وَأردفَ أعجَازًا وَنَاءَ بِكَلْــــكَلِ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّويلُ أَلَا أَنْجَلِي بِصُبحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ فِيكَ بِأمثَــلِ
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَــهُ بِكُلِّ مَغَارِ الْفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ[(*)][33]

يرى ربابعة أن إحساس الشاعر قاده إلى تصوير الليل بمثل هذا التّصوير الفنّي الذي يوحي بالشّعور النّاقم المتوتّر؛ ولذلك يصبح الليل شيئا جديدا يمتلك أوصافا جديدة استطاع الشّاعر أن يرسمها من خلال قدرته على إبداع صور جديدة منحها للشيء الموصوف الذي تحدّث عنه، ويتضمّن هذا التصوير –الخيال- توتّرا نفسيا، وإن مادة الصور لم تكن شيئا بعيدا وإنّما جاءت من البيئة التي تعامل معها الشّاعر في كل لحظة من لحظات حياته[34].

إن ضرب هذا المثال عن امرئ القيس لأكبر دليل يتّضح فيه للمستشرق هينريشس تضمّن الشعر الجاهلي للخيال، ومن المؤسف أن يغفل هينريشس هكذا أشعار الجاهلين أو ألا ينتبه لذلك، لكن مما هو جدير بالذكر أنه أغفلها عمدا؛ ذلك أنه أراد إقناعنا بأية وسيلة على خلو الشعر الجاهلي من الخيال؛ إذ أراد أن يبرّرَ موقفَهُ هذا بإسقاط

---

[31] /موسى ربابعة، الاستشراق الألماني المعاصر والشعر الجاهلي، ص71.

[(*)] الأساطير في الشعر: حكايات مقدّسة وقصص خيالية وتراث متوارث، لها صلة بالعقائد الدينية وتفسيرها، ويرى بعض الباحثين منهم: محمود شكيب أنصاري في مقالته 'ملامح أسطورية في الشعر الجاهلي' أن الأسطورة كانت عند العربي الجاهلي تمثّل علاقته بالكائنات وآرائه في الحياة ومشاهداته، وكانت مصدرا لبُنات أفكاره ألهمته الأدب والشّعر.

[32] /ينظر: موسى ربابعة، المرجع نفسه، ص 70.

[(*)]من معلقة امرئ القيس، ومطلعها: قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ***بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

[33]/نقلا عن موسى ربابعة، امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، تح: محمّد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، 1984م، ص18، 19.

[34] /ينظر: موسى ربابعة، الاستشراق الألماني المعاصر والشعر الجاهلي، ص20، 21.

الشعر الجاهلي على الشعر اليوناني القديم ومقارنته به، وهذا غير جائز لاختلاف طبيعة كل شعر وكل فكر، كما نشير أن هاينريشس لم يقدم ولا مثالا يوضح من خلاله ما وقف عليه.

2.3/ ريناتا يعقوبي:

طرحت المستشرقة ريناتا يعقوبي في كتابها: **دراسات عن شعرية القصيدة العربية الجاهلية، Studien Zur Poetic Der Altrabischen Qaside** ،جملة من المواقف عن الصورة الشعرية،"...ومن خلال مناقشاتها يمكن استنباط موقفها من الخيال في الشّعر الجاهلي"[35]وهنا يمكننا القول: ربطت يعقوبي فقر الخيال الجاهلي بطبيعة البيئة الجاهلية إذ تقول: "فالشاعر العربي يعيش في بيئة لم تستطع أن تقدم شيئا ذا بال للخيال الإبداعي عند الشاعر"[36].و من خلال الكلام عن أثر البيئة في الصورة الشعرية للقصيدة الجاهلية نقول: لقد تمكن الشّاعر الجاهلي أن يأخذ كثيرا من مواد هذه البيئة وأن يستخدمها أيضا في شعره، وبخاصة أشياء الطبيعة حيّة كانت أم جامدة، فتصوير الشاعر لغرض الفخر أو المدح أو غيرها تكشف عن عمق تفاعل الشّاعر مع البيئة أيضا. وإن في الأبيات الشّعرية التي قدّمت في تلك الأغراض الشعرية دليلا كافيا على قدرة الشاعر على التفاعل من حوله، وفي هذا السياق نستحضر قول عمر بن كلثوم حين يصور لنا تكثير القليــل مستعينا برموز ومظاهر البيئة فيقول[37]:

مَلَأْنَا البَرَّ حَتَّى ضَاقَ عَنَّــا وَنَحنُ البَحْرُ نَمْلَأُهُ سَفِينَــا

يصوّر لنا عمر بن كلثوم من هذا البيت أنّهم ملأوا الأرض جندا حتى لم يبق فيه مكان خالي، كما يصوّر لنا أيضا أنهم ملأوا البحر بسفنهم؛ وهذا يدلُّ على القوّة التي هُمْ عليها، وفي هذا فخر من عمر بن كلثوم جاء عن طريق المبالغة في رصد الصورة المصوَّرَة من عناصر الطبيعة،"والذي صنع خيال الشاعر في هذا البيت أنه تجاوز في الإخبار بكثرة قبيلته وسفنه حد الحقيقة وتطوّحت به نشوة الفخر إلى أن تخيّلَ أنّ البِرَّ قد غصَّ بجنودهم كما تغصُّ الثكنة، وأن البحر يتموّج بسفنهم كموج السماء بكواكبها الزاهرة"[38]. من هنا يمكننا أن نقول ردًّا على مدعاة يعقوبي في عجز بيئة الجاهلية تقديم الخيال الإبداعي الشاعري: تُرى هل خدمت بيئة الجاهلية الشَّاعر عمر بن كلثوم في تصويره لنا قوة قبيلته عدة وعتادا من خلال بيته أم لا؟!

3.3/ إيفالد فاجنر:

ناقش المستشرق الألماني إيفالد **فاجنر** [(*)] في كتابه أسس الشعر العربي الكلاسيكي-الشعر الجاهلي الخيال والواقعية في الشّعر الجاهلي. فهو يرى: "أن الشّعر الجاهلي كان في أغلبه واقعيا، ويوصف بأنّه واقعي، لأن الشّاعر يصف ما يستطيع أن يحسّه، ومن هنا تتركّز الحسّية في التفصيلات فإذا وصفت الأشياء بشكل مفصّل فإن السّبب لا يعود إلى المعاينة الحادة للعرب فقط، وإنما أيضا إلى أن الأشياء الموصوفة كانت معروفة لدى السامع كما هي معروفة

[35]/ موسى ربابعة، الاستشراق الألماني المعاصر والشّعر الجاهلي، ص77، 78.

[36] /المرجع نفســه، ص78.

[37]/عمرو بن كلثوم، ديوان عمر بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1991م، ص91.

[38]/محمّد الخضر حسين التّونسي، الخيال في الشّعر العربي، المكتبة العربية، دمشق، دط، 1922م، ص22.

[(*)] للمزيد ينظر: إيفالد فاجنر، أسس الشعر العربي الكلاسيكي والشعر العربي القديم، تر: سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنّشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط01، 2008م، ص279.

للشاعر، لكن الشاعر يستطيع أن يقدّم أشياء جديدة من خلال أسلوب التشبيه"[39].ومن هذا المنطلق يمكننا أن نقول أن الأشياء الجديدة التي تأتي من خلال التشبيه على حد قول فاجنر هي الصورة الحسية لدى الشاعر الجاهلي والتي تحوّلت من الواقعية، فالشاعر الجاهلي كما يرى بعض الباحثين يعمد إلى تصوير ما هو محسوس بمحسوس آخر. وعليه فإن **فاغنر** لم ينفِ وجود الخيال عن الشّعر الجاهلي كما فعل تلميذه هاينريشس الذي نفى الخيال عن الشعر الجاهلي نفيا قاطعا، فقد رأى فاغنر أنّ الشَّاعر الجاهلي تمكن من أن يتعدى التطابق الحرفي مع الواقع، كما استطاع أن يوظف الشَّاعر الجاهلي في شعره الموجودات المحيطة به في شكل خيال، وهو بهذا يؤكد على تضمين الشاعر الجاهلي للخيال فيقول: "إن الخيال لم يغب عن الشعر الجاهلي بشكل مطلق -كما زعم هاينريشس-والدّليل على ذلك أن الخيال يكون موجودا عندما تبدأ الحيوانات بالحديث مثل: حديث الرّجل مع الحيّة عند **النابغة الذبياني**، وحديث امرئ القيس مع الذّئب"[40]وغيرهم من أحاديث الشعراء .

إن هذا الموقف من فاغنر المتمثل بتضمّن الشعر الجاهلي للخيال قد أدى به إلى تقديم بعض الشواهد التي تثبت رأيه منها استدلاله بقول عامر بن طفيل[41]:

وَقَدْ عَلَمَ المَـزْنُــوقُ أَنِّي أَكُرَّهُ عَشِيَّةً فَيْفِ الرِّيحِ كَرَّ المُشَهَّــرِ
إِذَا ازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ الرَّمَاحِ زَجَرْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ ارْجِعْ مُقْبِلاً غَبْرَ مُدْبِــرِ
أَلَسْتَ تَرَى أَرْمَاحَهُم فِيَّ شُرعاً وَأَنْتَ حِصَانٌ مَاجِدُ العِرْقِ فَاصْبِرِ

يرى ربابعة أن هذا الشاهد دليل حقيقي على قدرة الشاعر الجاهلي على الحديث عن الأشياء التي يتعامل معها بأسلوب غير واقعي، فالشاعر لديه القدرة على استنطاق الأشياء التي يستحضرها في شعره فهو لا يصف حصانه وصفا خارجيا، وإنما يتغلغل في نفسية هذا الحصان الذي عدّه مماثلا له يناجيه ويبوح له[42].

[39] /نقلا عن: موسى ربابعة، الاستشراق الألماني والشّعر الجاهلي، ص82.

[40]/المرجع نفسه، الصفحة نفسه.

[41] /عامر بن طفيل، ديوان عامر بن طفيل، دار صادر، بيروت، لبنان، 1963م، ص61- 62.

[42] /ينظر: موسى ربابعة، الاستشراق الألماني المعاصر والشعر الجاهلي، ص87.

4-الخاتمة:

نصل في ختام هذا البحث إلى نتائج منها: إن المناهج التي اعتمدها المستشرقون الألمان في دراساتهم للقصيدة الجاهلية بصفة خاصة وللأدب بصفة عامة بما فيها المنهج الإسقاطي والمنهج الفيلولوجي ومنهج الشك الذي كان له الحظ الأوفر في مواقفهم هي مناهج لا تصبو إلى الحقيقة العلمية حتى وإن كانت صائبة في بعض من مواقفهم، لكن ما هو ثابت أن هاته المناهج أوقعت دراساتهم في مزالق جانبت الصواب، وما زاد الطين بلاّ اتباعهم لدراسات بعضهم البعض وتبنيهم لرؤى ومواقف قبلهم من المستشرقين في الحكم على القصيدة الجاهلية بالاعتماد على نفس المناهج لسابقيهم من المستشرقين ولهذا يمكننا أن نقول من خلال هاته الدراسة إن الشِّعر الجاهلي احتوى على الوحدة الموضوعية في قسم من قصائده بدليل شعر شعراء الصعاليك والذي غفله المستشرقون الألمان أو ربما تغافلوه عمدا ذلك من أجل أن يعمّموا ظاهرة التّفكُّك في الشّعر الجاهلي؛ وهذا ما جعل مواقفهم من ذلك تعادي الحكم الدّقيق وتخالفه .

أما بخصوص الخيال في الشعر الجاهلي كانت مواقف المستشرقين الألمان متقاربة لا يختلف عنهم إلا **فاغنر**؛ وربما يعود ذلك لطبيعة فهم هؤلاء المستشرقين لطبيعة الخيال، ولقد كان فاغنر أكثر اعتدالا؛ ذلك أنه أثبت وجود الخيال في الشعر الجاهلي محللا وممثّلا.

أما بالنسبة للتوصيات التي نختم بها بحثنا فهي:

-إن تقصي الحقيقة في البحث العلمي تنبع من المصادر الأساسية للدراسة المراد البحث فيها وليست بالعودة إلى مواقف وأحكام السابقين والاستدلال بها على أنها إثباتات قطعية وهذا ما قام به أغلب المستشرقين في الحكم على القصيدة الجاهلية.

- إن مكانة القصيدة الجاهلية وقيمتها العلمية لا تكمن في وحدتها الموضوعية ولا في الخيال المدعى غيابه من طرف المستشرقين الألمان، إنما مكانتها لما تعبر به وعنه للواقع والظروف المحيطة بها في تلك البيئة التي نشأت فيها القصيدة الجاهلية.

- إن دراسات المستشرقين الألمان للقصيدة الجاهلية تبقى مجرد اجتهادات، وليست أحكام قاطعة، ذلك أنها في النهاية مبنية على مناهجهم الغربية وتكوينهم الغربي الذي يغيّب التصورات الشعرية العربية في القصائد.

- إن النقد العربي المخالف لمواقف المستشرقين في الحكم على القصيدة الجاهلية يحيلنا إلى إعادة البحث من جديد وفتح دراسات أخرى بمزيد من التقصي والتعمق للوصول إلى الحقيقة العلمية القاطعة.

5-الهوامش:

1. أحمد محمد هويدي، الاستشراق الألماني (تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية)، دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة، د.ط، 2000م.
2. أكرم عبد الله محمّد العوسجي، دراسات المستشرقين للشّعر الجاهلي (دراسة تحليلية نقدية، أطروحة دكتوراه بإشراف: إيمان مصطفى كمال المهداوي)، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، بغداد، العراق، 2009م.
3. امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، تح: محمّد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4، 1984م.

4. إيفالد فاجنر، أسس الشعر العربي الكلاسيكي والشعر العربي القديم، تر: سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنّشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2008م.
5. تيدور نولدكه، من تاريخ ونقد الشعر العربي القديم (ضمن: دراسات المستشرقين حول الشّعر الجاهلي)، تر: عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979م.
6. حسن يوسف، الشّعر الجاهلي في دراسات المستشرقين الألمان، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2013م.
7. حنّا نصر الحتّي، مظاهر القوّة في الشعر الجاهلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.
8. سالم ساسي الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي (الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدّراسات الاسلامية)، ج01.
9. صمويل مرجليوث، أصول الشعر العربي، ترجمة وتعليق ودراسة: ابراهيم عوض، دار الفردوس، 2006م.
10. طه حسين، في الشّعر الجاهلي، تقديم ودراسة: سامح كريّم، الدار المصرية اللبنانية، دط.
11. عامر بن طفيل، ديوان عامر بن طفيل، دار صادر، بيروت، لبنان، 1963م.
12. عمرو بن كلثوم، ديوان عمر بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه: اِميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط01، 1991م.
13. محمّد الخضر حسين التّونسي، الخيال في الشّعر العربي، المكتبة العربية، دمشق، دط، 1922م.
14. محمّد سعدون المطوري، تاريخ الاستشراق الألماني وملامح من أسسه المنهجية، مجلة دراسات استشراقية، ع03، العراق، 2015م.
15. محمود درايسة، الاستشراق الألماني المعاصر والنّقد العربي القديم، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، ط01، 2010م.
16. موسى ربابعة: مرايا الاستشراق الألماني المعاصر والشّعر العربي القديم، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008م.
17. موسى ربابعة، الاستشراق الألماني المعاصر والشّعر الجاهلي، مؤسسة حمادة للخدمات والدّراسات الجامعية، الأردن، ط01، 1999م.
18. يوسف خليف، الشعراء الصّعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، د.ت.